أيام مصرية بعيون فلسطينية

د. سرمد فوزي التايه

د. سرمد فوزي التايه: أيام مصرية بعيون فلسطينية

الحضارة للنشر
٧ شارع أبو السعود – الدقى ١٢٣١١ – القاهرة

Al-Hadara Publishing
7 Abou El-Seoud Street
Dokki 12311, Cairo, Egypt

Tel.: (20-2) 3761 94 39
Mobile: (20-122) 316 48 67

E-mail: ask@alhadara.com
E-mail: hadara@idsc.net.eg
www.alhadara.com

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٣

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٣٠٠ /٢٠١٣
I.S.B.N. 978-977-476-159-6

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى الروح التى ارتفعت فى عنان السماء لنأخذ من طيفهـــا العـــزة والفخار...

إلى روح والدي الشهيد فوزي هليل التايه

إلى من أرضعتني طعم العزيمة والإرادة والتحدي قبل أن ترضعني حليب الأم الصافي...

إلى والدتي العزيزة، أطال الله فى عمرها

إلى من جعلتني استشعرُ طعم الحياة الحلوة بـــين جنبـــات الأيـــام القاسية...

إلى زوجتى الغالية نهله

إلى من أرى نور الفجر القادم يلمع بين جبهاتهم ليزيد من جمـــال بريق المستقبل...

إلى أبنائي الأحباء: بيسان، فوزي، الحبيب

إلى من ربينا معاً فكنا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى...

إلى أخواتي العزيزات نبراس وبتول

مقدمة

إن الذى دفعني لسرد بعض تفاصيل الحياة المصرية –على قدر ما أتيح لي– هو ما وجدته من غريب الطباع وعجيب التصرفات وذلك من وجهة نظري أنا كإنسان زائر جديد على هذه البيئة والتقاليد، وحيث انه ومنذ اللحظات الأولى لوصولي إلى جمهورية مصر العربية فى الفاتح من أكتوبر من العام ٢٠٠٩ وأنا أُراقب هذا المجتمع وأتفحص سلوكَه ومسيرة حياته الروتينية، وكلما رأيت ما يعجبني أو ما يغيظني اعزم على تدوين هذه السلوكيات لأعود إليها وأتذكرها عندما يسير الزمن بعيداً ويتجاوز هذه الفترة التاريخية من عمري، وبقيت أقول واعقد النية لتدوين هذه الملاحظات إلا أن انشغالي بالدراسة والأبحاث لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة قد أعاقني كثيراً عن رصد هذه المشاهدات إلى أن جاء اليوم وشاء الله أن افتتح هذه العملية.

فى هذه السطور سأقوم بتدوين هذه الملاحظات باللغة العربية الفصحى بالتأكيد؛ وفى حال ورود مصطلح يحتمل الاختلاف بين اللهجة الفلسطينية واللهجة المصرية سأقوم بكتابة المصطلح باللهجة الفلسطينية أولاً ومن ثم أضع المصطلح باللهجة المصرية خلفاً له بين قوسين وذلك حتى يتسنى فهمه من إخواني الفلسطينيين والمصريين على حد سواء.

لقد قمت هنا بسرد هذه الأَيام من تحت المجهر أو ضمن ما وقعت عليه عدسة عيني على شكل فصول متفرعة إن وجدت وكل فصل متعلق بقضية معينة أراها من وجهة نظري على أنها غريبة من وجهة نظري كون تفاصيل المجتمع الفلسطيني مختلفة عن تفاصيل المجتمع المصري، وقد تطرقت إلى الايجابيات والسلبيات إن وجدت بغض النظر عن وجهة نظر الشارع المصري في مدى ايجابيتها أو سلبيتها.

لقد عقدت العزم على القيام بتدوين كل مشاهدة أو ملاحظة عند عثوري على ذلك المظهر أو تلك المشاهدة وبنفس الفترة ومن ثم قمت بتصويرها على هاتفي النقال أن تسنى لى ذلك وفى حال عجزت عن التقاط مثل هذه الصورة لسبب أو لآخر فقد قمت بالحصول عليها من شبكة الانترنت وذلك حتى اقرب للقارئ الكريم الصورة الحسية وكنوع من التوثيق للموضوع وأنى لآمل أنه فى نهاية فترة وجودي فى بلدي العزيز مصر أن أكون قد وقعت على حصيلة جيدة من العادات والتقاليد والطباع والممارسات اليومية ليتم رصدها والاحتفاظ بها للتاريخ.

لقد قمت بكتابة هذه الأجزاء والانتهاء منها قبل ثورة ٢٥ يناير، فقد غادرت الأراضي المصرية قبيل بدء الثورة بيوم واحد وقد أحببت أن احتفظ وأدون ما كتبته قبل الثورة دون أي تعديل حتى يتم رصد المجتمع والحياة المصرية لفترة ما قبل الثورة.

كما هو معروف فى أي عمل أدبي يتم نسج خيوطه على مدى أيام من العمل الجاد، انه وفى حال تم نشره وبعد أن يرى النور، ترى صاحبه يقول: ليتني أضفت هذا هنا، وليتني حذفت هذا من هنا، وحبذا لو تناولت كذا، ومن المفروض أن توسعت هكذا،... وأنا أقول أنني لم أتعرض لكافة جوانب الشارع المصري بالنسبة المئوية التامة، ولكنى قمت ورصدت ما وقعت عليه بصيرتي وتلمسته حواسي خلال أيام وجودي هنا. ومن هنا فإني اعتذر عن كل تقصير حصل بهذا الرصد والعمل المتواضع لم أتمكن من الاطلاع عليه أو كل مشاهدةٍ لم تَرُق للقارئ الكريم على أنها ليست بنفس الدقة التى يراها أو يعايشها هو من وجهة نظره.
فى النهاية أقول: أنني قمت برصد المشاهدات التى بلغت إدراكي ولم ارصد الحياة المصرية بكل تفصيلاتها وجزيئياتها.

فى هذا الكتاب، أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم معي فى الحصول على هذا الانجاز سواء من حيث التدقيق اللغوي أو التصوير أو إبداء الرأي والمشورة للحصول على أفضل ما يمكن تقديمه للمجتمع المصري والمجتمع الفلسطيني بشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام، واخص بالشكر الأخ الزميل الدكتور زياد غانم والأخ الزميل أحمد خضر والأخ الزميل سالم أبو حلو والأخ الزميل فراس مسعود والأخت مروة العزيزي والأخ يحيى شاكر (مصمم الغلاف) كما لا يفوتني أن أشكر الأخ سيد عثمان الجندي لمساعدتي فى نشر هذا العمل.

الفصل الأول

الدين والعبادات

أولاً: المساجد:

إن المتأمل بوضع المساجد فى مصر، سرعان ما يُبهر عينية كثرة وإنتشار هذه المساجد والمصليات فى إرجائها المترامية الأطراف، حيث انه فى الحى الصغير من أحياء القاهرة العظيمة ترى عشرات المساجد والمصليات الصغيرة، وليس من باب المبالغة انك فى الشارع الواحد ضمن نفس الحى قد تجد بضع مساجد، ولو حان موعد أي صلاة فلن يكون هنالك صعوبة بالسير عشرات الأمتار للالتحاق بأول مسجد يصادفك سواء كان مبنىٌ أو حتى أن يتم الفرش فى الشارع إن لم يكن هناك مكان مخصص للصلاة بشكل رسمي.

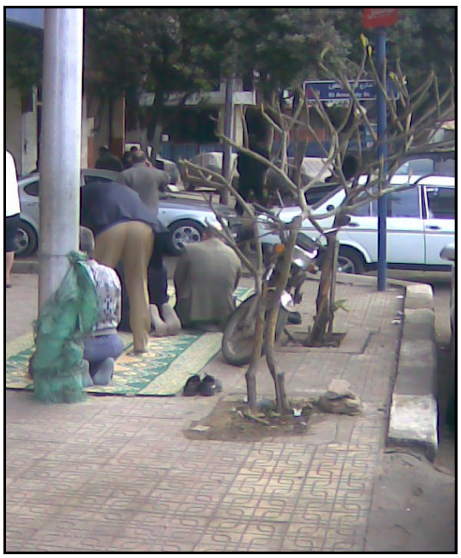

إن الجميل فى الموضوع أن معظـــم العمـــارات (العمايرر) يتم تخصـــيص جزء صغير منها كمصلى أو مسجد صغير من باب الصدقة الجارية، فصحيح أن تلك المساجد لا تمتلئ بالمصـــليين بالأوقـــات العادية– عدا يوم الجمعة– شأنها شأن بقية المســـاجد فى العالم بشكل عام وفى العالم العربي بشكل خاص، إلا أن كثرة هذه المساجد يثير الإنتبـــاه ويبشر بأن لهذه الأُمة مستقبل منير إن شاء الله.

على الرغم من أنى لم أسافر لكثير من الدول العربية إلا أنني اعتقد أن هذه الظاهرة نادرة فى الوطن العربي بالإضـــافة إلـــى وطنـــي فلسطين واجزم هنا وبلا أدنى شك أن هذه الظاهرة الفريدة والرائعة تكاد تكون مقتصرة على هذه البقعة العظيمة.

ثانياً: المصليات فى الوزارات والدوائر الحكومية:

موضوع آخر ومشهد غريب أثار انتباهى وحفز استغرابي فى هذه البلاد العامرة إن شاء الله؛ إن هذا الموضوع الـــذى نحـــن بصـــدد

الحديث عنه؛ هو توافر المصليات فى الوزارات والدوائر الحكومية، فلا تكاد تخلو وزارة أو دائرة حكومية من هذا المصلى صغر حجمه أو كبر، ووجوده دليل على اهتمام هذه الأمة بموضوع الصلاة؛ صحيح

الصورة من خلال الانترنت

لم أزر جميع الوزارات والدوائر إلا أنني أحكم على الوزارات التى قمت بزيارتها ضمن مجال حاجتي، سواء للحصول على إقامة فى البلد أو المؤسسات التى لها علاقة بدارستي وأبحاثي الجامعية، وفى هذا الصدد أريد أن اخصص الحديث عن مجمع التحرير (دائرة الجوازات والجنسية) والذى هو عبارة عن مجمع ضخم يقع وسط ميدان التحرير فى قلب مدينة القاهرة. فبحكم ترددي على هذا المجمع للمراجعة لاستصدار الإقامة، وقد حان موعد صلاة الظهر فقمت بالسؤال عن وجود المسجد وأنا على قناعة تامة بوجوده فى هذا المكان، هذا وقد أذهلني كثافة المصلين؛ حيث أن المسجد قد ضاق بالمصلين وبدأ الناس يصطفون بصفوف خارجه إلى أن امتلأت الطرقات والممرات بشكل كامل، وقد زاد من دهشتي

ملاحظة أن المعظم قد التحقوا بالصلاة بغض النظر عن الوظيفة أو الرتبة العسكرية؛ فلا أبالغ إن قلت أنني رأيت العقيد والعميد والرائد والمقدم وصولا إلى أصغر رتبة عسكرية والكل هنا سواسية لا فرق بين أسود ولا أبيض ولا فرق بين أمين شرطة وبين عميد.

من الطريف ذكره هنا انه أثناء إقامتي الصلاة وبحكم أنى متأخر عن أذان الإقامة فقد التحقت بالصفوف الأخيرة فى إحدى الممرات، وأثناء تأديتي للصلاة، تقدم إلى احد الموظفين وكان يحمل ورقة بيضاء وقام بوضعها أمامي حتى يتسنى لى السجود عليها، وبعد الانتهاء من الصلاة توجهت إليه وسألته عن سبب فعلته؛ فكان جوابه: انه وضعها حتى أسجد عليها بدلاً من السجود على الأرض كيلا أتسخ، وهنا قمت بشكره والثناء عليه وقلت له أن هذا الشعب الطيب يتسارع حبي له يومياً.

ثالثاً: مقامات الصحابة:

تشتهر جمهورية مصر العربية وبسبب الدور البارز لها أثناء النهضة الإسلامية وبسبب المكانة التاريخية والإسلامية بتوافر الكثير من مقامات الصحابة والتابعين، ومن هنا فإنك إن تجولت فى أرجاء "أم الدنيا" فانك تلاحظ

الكثير الكثير من هذه المقامات والأضرحة والقبور يتم إقامة المساجد فوقها ورعايتها والاهتمام بها شأنها شأن جميع الدول التى تحتوى مثل هذا المقامات كنوع من التقدير والاحترام لمكانة هؤلاء الصحابة والتابعين عبر التاريخ الإسلامي.

الغريب فى هذا المقام هو وجود طوائف عديدة تتولى هذه المقامات الاهتمام والتقديس العظيمين على نحو قد يعتبره أهل السنة والجماعة كنوع من المبالغة، فتراهم فى أيام المناسبات الدينية الإسلامية يتوجهون فرادى وجماعات على شكل مسيرات ضخمة قاصدين تلك الأضرحة مرتدين كلا منهم زيه الخاص الذى يشير إلى طائفته، ويقومون بدق الطبول وترديد الأناشيد والأغاني الدينية وتحميد وتمجيد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه وآل بيته وطبعاً كل حسب فرقته وطائفته. من أشهر هذه المقامات: مقام سيدنا الحسين رضي الله عنه ومقام السيدة زينب ومقام السيدة عائشة ومقام السيدة نفيسة رضي الله عنهم أجمعين.

رابعاً: سيماهم فى وجوههم:

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)). [1]

الصورة من خلال الانترنت

عند الرجوع إلى هذه الآية وجدت عدة آراء متباينة حول تفسيرها؛ فمنها ما يقول: هو تلك العلامة الغامقة فى جبهة بعض الناس، ومنها أنه هذه النور الذى يشع من وجوه بعض الأشخاص وهذا الرأي هو الراجح والصحيح والله اعلم. **فقد قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس:**

---

[1] **القرآن الكريم: سورة الفتح، آيه ٢٩.**

سيماهم فى وجوههم يعني: السمت الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: يعنى الخشوع والتواضع وقال: الخشوع.[1]

عند وصولي لهذا البلد العزيز كانت ملاحظة هذه العلامة والمسماة فى مصر باللغة الدارجة (الزبيبة) ملاحظة مثيرة للعجب والاهتمام، فقد سافرت إلى الأردن والعراق والسعودية وفى فلسطين بالطبع لم أكن لأجد أن هذه العلامة ترقى إلى مستوى ظاهرة فى هذه البلدان كما هو الحال فى مصر. فوجود هذه العلامة على كم هائل من الأشخاص الذين التقيتهم إن أعطى مدلولاً فإنما يدل على مدى الاهتمام بالصلاة والسجود، حيث انه علمياً تتكون هذه العلامة مع كثرة السجود خاصة إذا كان الجلد ناعماً وحساساً، ولكن هنا أتساءل ما الذى جعل هذه العلامة مميزة ومنتشرة بين قطاعات كثيرة من هذا المجتمع؟ أهو كثرة السجود أم نعومة الجلد وحساسيته؟ أم ما يقال على سبيل الطرفة أن السبب يعود لطبيعة مياه هذه البلد المباركة؟ وعلى سبيل الطرفة أيضاً ولكن بالواقع الكثير ممن حولي من الزملاء والأصدقاء يقولون لى أن هذه العلامة قد ازدادت لدى أنا شخصيا بعد وصولي لهذا البلد وعيشي به لأكثر من سنتين بصورة شبه متواصلة.

---

[1] **تفسير ابن كثير**

خامساً: الإطالة فى السجود:

الصورة من خلال الانترنت

يقول الرسول الكريم صلى الله علية وسلم: (اقرب ما يكون العبد إلى الله أثناء السجود).[1] إن هذا الحديث يحفظه معظم المصريين عن ظهر قلب، فتراهم يطيلون السجود أكثر من المعتاد، والغريب فى الموضوع أن الإمام قد يعتدل من السجود ولكن الكثير من المصلين يبقون فى حالة سجود تطول كثيراً وقد تصل إلى قرب ابتداء سجود الإمام مرة أخرى. وقد استغربت هذه العادة فى البداية، ولكن عند إدراكي معناها تحت ظلال هذا الحديث التمست لهم العذر وأصبحت أنا الآخر اكرر هذا السلوك يومياً أنا قدر لى ذلك. وفقكم الله وأجاب دعواكم وأنالكم ما تحبون وترجون.

سادساً: القرآن الكريم:

ظاهرة جميلة جداً ومتكررة بشكل رهيب وملفت للأنظار: ألا وهى ظاهرة الحرص والاحتفاظ بنسخة من القرآن الكريم، حيث شاهدت

---

[1] **ذخيرة الحفاظ ج١ ص٥٣٢ (حديث ضعيف).**

بأم عيني معظم السيارات (العربيات) وتحديداً على مقدمة السيارة (التابلو) يوجد نسخة من القرآن الكريم.

قد يقول قائل إن هذه عبارة عن زينة لتجميل منظر السيارة، وقد يقول آخر إن هذا من باب الرياء والتفاخر؛ فأرُدُ عليه بقولي أنه ومن خلال مشاهداتي المتكررة والتى هى اقرب إلى ما تكون ظاهرة أنى رأيتُ كثيراً من الأشخاص يقومون بقراءة هذا المصحف الشريف إن هو توقف فى مكان ما لفترة من الزمن قد تطول أو تقصر سواء كان بإنتظار أحد الأشخاص أو بإنتظار السماح له بالمرور عند اختناق الشوارع أثناء الازدحام المروري على الطرقات فى أوقات الذروة.

لا يقتصر هذا السلوك الرائع وهذه المسلكية القيمة على السيارات المدنية للمواطنين العاديين، بل يمتد ليشمل السيارات العسكرية

وتحديدا سيارات الشرطة، كيف لا والشرطة جزءٌ من الشعب وسلوكها سلوك شعبي فى خضم الحياة اليومية؛ فقد رأيت كثيراً من سيارات الشرطة فيها نسخة من القرآن الكريم وحتى أنه وفى أحد المرات رأيت أحد رجال الشرطة يقوم بحراسة أحد الدوائر الحكومية يجلس بجانب سيارته العسكرية يطالع نسخة من القرآن الكريم.

الصورة من خلال الانترنت

إن مثل هذا السلوك الإيجابي يكاد يكون ظاهرة فى هذا البلد النير لدرجة انه عندما تركب مترو الأنفاق أو الميكروباص فإنك ترى أشخاصً وأشخاص يحملون المصاحف الطاهرة ويقومون بتلاوة آياتها عند الانتقال من مكان إلى آخر.

وفقكم الله وجعل القرآن الكريم ربيع قلوبكم ونور صدوركم وجلاء همومكم.

سابعاً: اللباس الساتر للشعر:

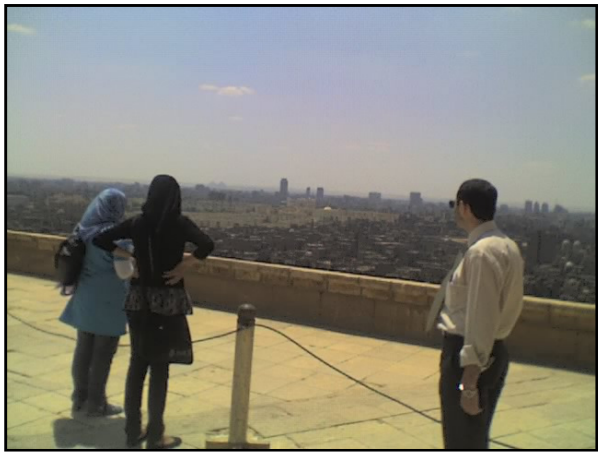

عنـــدما أردت الحديث فـــى هذا الموضوع لـــم أعـــرف تحديداً بمـــاذا أعنونه؟ هـــل أضع له عنوان اللباس الساتر أم اللبـــــــاس الشرعي أم غطاء الرأس أم ماذا؟؟

كملاحظة ومقارنة بين الفتيات المصريات والفتيـــات الفلســـطينيات أكاد اجزم أن نسبة الفتيات ساترات الشعر فى المجتمع المصـــري أكثر بكثير مما هو عليه فى المجتمع الفلسطيني، فصحيح أن هـــذا الغطاء غير كافٍ من الناحية الشرعية لأن الفتاة هنا تغطى رأســـها ولكنها ترتدى بلوزاً وبنطالاً ضيقين شأنها شأن أي فتاة عربية فى أي مجتمع عربي، لكن أقول انه على الرغم مـــن تحفظـــي علـــى طريقة اللبس هذه إلا أنه لو تم اخذ هذه الطريقة فى اللباس بشـــكل مجرد لكانت نسبة ارتداء هذا الزى الساتر للشعر مرتفعـــة نســـبياً مقارنة مع بقية المجتمعات العربية.

ثامناً: الشعارات الإسلامية على بطاقات بائعي الخضار والفاكهة:

كـــأي شـــعب أو مجتمـــع بالعـــالم، هنـــاك وســـائل متعـــددة للتكســـب المادي، ومن هذه الوسائل المنشـــرة عالميـــاً بـــائعي العربـــــات أو البسطات.

هذا أمر طبيعي كما هو متعارفٌ عليه فى جميع دول العالم، ولكن المختلف هنا وما أثار انتباهى هو وجود شعارات إســلامية علـــى بطاقات عرض الأسعار لهذه المنتجات؛ فترى السعر مكتوب على البطاقة من جانب ومن الجانب الآخر مكتوب شعارات مثل (صلى على النبي)، (الله اكبر)، (صلاة النبي أحســن)، (توكلــت علـــى الله)،... وغيرها وغيرها من الشعارات التى تثير الانتباه والاهتمام. وأتوقع هنا أن هؤلاء الباعة يربطون بين الرزق والشعارات التـــى تذكر وتحث على الإيمان والتقوى والإصلاح. وفقهـــم الله وحســـن رزقهم ورزق عيالهم.

تاسعاً: الشعارات الإسلامية على لافتات تسمية الشوارع:

هذه المشاهدة الجميلة تجعل الإنسان يقف متأملاً طويلاً مدى جمالها وما لها من مدلول مرتبط بعقائد الناس وثقافتهم، فقد أثار انتباهى فى احد شوارع أحياء القاهرة (بين السرايات) لافتات تشير إلى أسماء الشوارع، وهذا بحد ذاته شيء عادي، أما الشيء المميز هنا انه قد كُتب على أعلى اللافتة شعارات إسلامية قد تكون آياتٍ من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو حتى عبارات تدعوا إلى العفة والصلاح ومن تحتها يكتب اسم الشارع. كنت أتمنى أن أجد هذه الظاهرة على جميع لافتات الشوارع، ولكنى أقول أن كل مجتمعٍ صغُرَ حجمُهُ أو كَبُر له خصوصيته وثقافته التى تكاد تختلف عن مجتمعٍ مجاورٍ لا يَبعُدُ عنه سوى كيلو مترات قليلة.

الفصل الثانى

المجاملات اللفظية وحلاوة اللسان

ما أثار انتباهي هنا طبيعة هذا الشعب المجامل، فترى جميع كلامه معسولاً بشتى الألفاظ والمديح لكل شخص يصادفه سواء كان يعرفه أم لا يعرفه؛ فهنا تسمع كلمة (باشا) وهناك تسمع كلمة (رَيِّسْ) وهناك كلمة (برِنس) و(بيه) وان تواضع قليلاً تراه يقول (يا أُسطه) و(يا كابتن) و(يا نجم) و(عسل) و(يا قمر). وطبعاً هذه المجاملات ليست مقتصرة على شريحة بالمجتمع دون الأخرى، بالعكس، فكل شرائح المجتمع وطبقاته من رجال ونساء وأطفال وشيوخ وسائقين ومثقفين وبائعين وغيرهم وغيرهم من فئات المجتمع يمارسون نفس الأُسلوب. أما عندما تلتقي بأحد الأشخاص ويسألك عن جنسيتك فتقوم بإخباره بالطبع وما تكاد تنهى حتى يسارِعُك بجملة (أجدع ناس) أو (أحسن ناس) أو غيرها من العبارات، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل عن مدى طيبة وحلو اللسان الذى تربوا عليه منذ الصغر. اعتقد أن هذه المجاملات لن تجدها فى أي مجتمع آخر وإن وُجِدَت، لن تكون بمثل هذه الكثافة.

الفصل الثالث

وسائل المواصلات

نظراً للكم الهائل والأعداد المتزايدة من أبناء هذا الشعب والذى تشير بعض الإحصائيات إلى انه تجاوز الستة والثمانين مليون نسمة، ولما كان هذا العدد الضخم، كان لابد من توفير وسائل شتى للمواصلات. حتى نشمل الموضوع من جميع جوانبه ارتأيت أن أقوم بتقسيم وتبويب هذا الفصل حتى أتمكن من لملمة أجزاءِه وإعطائِه حقَه إن شاء الله؛ وفيما يلي أقسام الحديث عن هذا الموضوع بغريب مظاهره:

أولاً: تعدد وسائل المواصلات:

فى مقدمة هذا الباب قلنا أن العدد الهائل من السكان يحتاج دون ادني شك لتلبية طموحاته وحاجته لتأمين ممارسة حياته اليومية والانتقال من مكان إلى آخر، وخاصة إذا علمنا أن هذا البلد الشاسع بمساحته يكاد يكون ثالث دولة عربية من حيث المساحة؛ من هنا نرى تعدد وسائل المواصلات لسد حاجة السكان. وبهذا المضمار هناك:

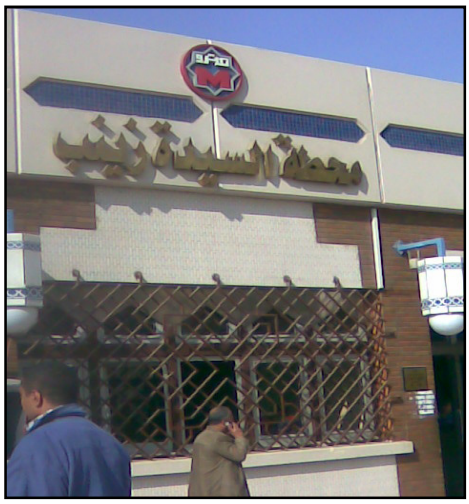

١. **مترو الأنفاق:** والذى يقطع القاهرة بشكل متعامد تقريباً. (بشكل X تقريباً) حتى يغطى اكبر جزء ممكن من القاهرة، وطبعاً هذا المترو مخصص فقط للعاصمة القاهرة ولا يشمل بقية المحافظات.

إن الجميل فى هذا المترو انه يوفر الوقت والمال فى آن معاً؛ فالمسافة المقطوعة بساعة مثلاً فى أي وسيلة مواصلات قد لا تستغرق فى المترو أكثر من ربع ساعة مثلاً، لأنه تقريباً كل أربع دقائق تصل عربة مترو إلى إحدى محطات الانتظار، وهكذا هناك مترو جديد كل أربع دقائق لكل محطة، وما أن يقف للتحميل والتنزيل فى المحطات المتعددة حتى لا يكاد

يكمل دقيقة واحدة بنفس المحطة (حيث أن فتح وإغلاق الأبواب لا يستغرق أكثر من ٤٠ ثانية) ثم يغادرها إلى المحطة التـــى تليهـــا وصولا إلى آخر محطة وهكذا طوال اليوم.
هذا من ناحية الوقت، أما من الناحية المادية فإن ثمن التذكرة لهـــذا النوع من المواصلات يكلف فقط جنية مصري واحد (أي ما يعادل اقل من ٠.٢ من الدولار الأمريكي) وهذا طبعا أجرة زهيدة جـــداً، علاوة على ذلك، بهذه التذكرة تستطيع أن تجوب أنحـــاء القـــاهرة شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً؛ فطالما انك بقيت داخل محطات المترو فانك تستطيع أن تتنقل حيث شئت وتبدل خط اتجاه ســـيرك حيـــث يوجد محطتان فى منطقة وسط القاهرة لتغيير الاتجاه هما – محطة السادات الكائنة فى ميدان التحرير ومحطة الشهداء (مبـــارك قبـــل الثورة) الكائنة فى ميدان رمسيس – وبنفس التذكرة دون أن يتطلب منك دفع أي مبلغ آخر، المهم أن تبقى داخل المحطات ولا تخـــرج من البوابات الالكترونية التى تعمل بهذه التذاكر.

من خلال ملاحظتي للأعداد الضخمة التى ترتـــاد هـــذه الوســـيلة السحرية فإني لآمل أن الله سيجزى أول من فكر بتطبيقها بهذا البلد العظيم بالدنيا والآخرة حسن الجزاء وذلك لما لها مـــن التخفيـــف المادي والزمني على المواطنين.

٢. **الباصات (الأتوبيسات):** على الرغم من كثرتها وتوزعها علـــى شتى المناطق والتجمعات السكنية إلا أنها تكاد لا تفـــي بـــالغرض؛

فغالباً ما تراها مكتظـــــــة لا يســـــــــتطيع الشخص حتـــى الوقوف بشـــكلٍ مريح، لا بل قد ترى العديد من الأشـــــــخاص

الصورة من خلال الانترنت

وقوفا بحالة تسلق على الأبواب. عندما كنا نلحظ هذا فى الأفـــلام والمسلسلات المصرية من خلال شاشات التلفاز كنا نقول أن هـــذا مبالغ فيه إلى أن جاء اليوم الذى مارست فيه ذلك (الوقوف علـــى الباب) أنا شخصيا مراراً وتكراراً وقد كنت اسعد بالوقوف هكـــذا رغـــم التعـــب الجسدي وذلـــك بســـبب طـــول الانتظـــــــار للحصول علـــى أيـــــة وســـــيلة مواصلات حتى لو كانت بهـــذا الشـــــــكل. إن خطر ببال أحدٍ

الصورة من خلال الانترنت

أنه ما الذى يجبر أحَدَهم على الوقوف هكذا؟؟ أقول أن كثافة السكان وأزمة المواصلات والوقوف لأكثر من ساعة أحياناً بغرض الانتقال من مكان إلى آخر يضطرك فى آخر المطاف أن تغامر وتصعد فيها واقفاً مضغوطاً يُداس على قدميك ويتم ضغطك مرة تلو الأخرى وذلك فى سبيل الوصول للمكان المرغوب بالزمن المطلوب حتى لا تنتظر ساعة إضافية أخرى.

٣. الباصات الصغيرة (الميكروباصات): وهى بالعادة تتسع لـ (١٠- ١٨) راكب وذلك حسب نوعية وطراز هذه المركبة، وتمتاز هذه المواصلة بالسرعة وارتفاع السعر قليلاً مقارنة ((بالأوتوبيس ذو الخمسون راكباً)) لتصل الأجرة مثلاً بين (٢-٣) جنية مصري مقارنة بالأوتوبيس الذى لا تصل أجرة الراكب إلى (١ جنيه) فى معظم الأحيان وذلك حسب خط السير والمسافة المقطوعة.

٤. **رمسيس:** وهى وسيلة مواصلات شبيهه جداً الميكروبـــاص إلا أنهـــا تســـتعمل للمســـافات القصيرة بين الأحياء القريبة وذلك عكس الميكروبـــاص الذى يستخدم للنقـــل بـــين المدن والمحافظات البعيـــدة نوعاً ما.

تمتاز هـــذه النوعيـــة مـــن المواصلات بأنها من صنع مصري، وعلى الرغم من منظرها الذى يشبه الثلاجة إلى حد ما إلا أنها تقوم بالعبئ الملقى على عاتقها.

٥. **سيارات الأجرة (التاكسي):** مثله مثل جميع سيارات الأجرة فى العالم بأسره؛ تمتاز بالسرعة والرفاهية بنقـــل الركـــاب ولكن بـــالأجرة المرتفعـــة مقارنة بباقي المواصـــلات وذلك لأنها تنقل الفرد بعينه وبشكل فردى إلى المكـــان الذى يريده بالضـــبط، ولا داعي للخوض فـــى هـــذه المواصلة لأنها معروفة بآلياتها فى جميع أنحاء العالم.

٦. **المخصوص:** سيارات من نوع (بيك أب) أو ما يطلق عليه عالمياً (دبل كابينا). تستخدم كسيارة أجرة للنقل داخل الحى الواحد أو بين الأحياء القريبة جداً واعتقد انه غير موجودة بجميع الأحياء والمناطق إلا أنني شاهدتها وبكثافة فى مدينة ٦ أكتوبر.

سعر الأجرة بها مرتفع نسبياً بنفس فكرة التاكسي إلا أن هناك شخص أو شخصين فقط يركبون بالقرب من السائق وان زاد العدد عن ذلك يضطرون للصعود للكبينة الخلفية المكشوفة.

٧. **الشعبوطة:** أيضاً هى سيارة من نوع (بيك أب) أو (دبل كابينا) ولكن الكابينا الخلفية مغطاة وليست مكشوفة (وجود غرفة خارجية مزودة بكراسي متواضعة). تمتاز هذه الوسيلة أيضاً بالنقل داخل نفس

الحى أو بين الأحياء المتجاورة، وعكس المخصوص الذى يحمل شخصين أو ثلاثة على الأغلب، فأن الشعبوطة تتسع لعدد من الأشخاص يقترب من خمسة إلى عشرة تقوم بتحميلهم وإنزالهم على طول الطريق كلما احتاج احدهم إلى الصعود والنزول بالقرب من مكان سكناه.

من ميزات الشعبوطة أنها رخيصة الأجرة (نصف جنيه)، وتتسع لعدد كبير من الأشخاص كما تم ذكره. ومن الطريف بالموضوع انه حينما تمتلئ المقاعد الداخلية بالركاب يضطر البقية الذين لا مكان لهم بالوقوف على الدرج (السلم) من الخلف ممسكين يدهم بقوة بمماسك حديدية مثبته بأعلى السقف خوفاً من الوقوع، ولأنهم يقومون بهذه

العملية (التشعبط) فإنها بالتالي تسمى (شعبوطة)، هذا وقد أذهلني كثيراً انه عندما تمتلئ من الداخل إضافة إلى الواقفين بالباب يضطر البعض إلى الصعود على الظهر ولكم أن تتخيلوا المنظر!!!!!!

٨. **التُـــك تُـــك:** هـــذه الوســـيلة الصـــغيرة الجميلة تشبه إلى حـــد كبير الدراجة الناريـــة من حيث آلية العمل إلا أن لها حجرة قيادة مع حجرة الركاب التى لا يفصل بينهمـــا ســـوى حاجز بسيط لا يزيـــد عن ارتفاع نصف متر تقريباً.

الصورة من خلال الانترنت

التُك تُك صناعة شرق أسيا (الصين والهند) فكثيراً ما نراهـــا فـــى الأفلام الهنديـــة أو فى نشـــرات الأخبار عنـــدما تتـــابع أحـــداث باكســـــتان أو أفغانســـــتان أو غيرها من دول شرق أسيا.

يعتبر التُك تُك وسيلة للتنقل الداخلي (داخل نفس الحي)، وهو غالباً ما يتسع لشخصين خلف السائق بشكل مريح، ولكن فى ظل الأزمة السكانية فانك قد ترى خمسة أشخاص أو أكثر قد يصعدونها لتقوم بنقلهم من مكان إلى آخر.

يمتاز التُك تُك بأنه وسيلة نقل بطيئة السير ولكنة بأجرة مرتفعة نسبياً على نظام التاكسي ولكن دون أن يصل مناطق بعيدة، حيث تبلغ أجرة النقل هنا ما بين ثلاثة إلى خمسة جنيهات مصري للحمولة كاملة بغض النظر عن عدد الركاب، حيث يتم الاعتماد بتقدير المبلغ المطلوب حسب المسافة المقطوعة. ومما يميز التُك تُك أيضاً، الكم الهائل من هذا النوع الذى يجوب البلاد شرقاً وغرباً، إضافةً إلى صغر حجمه مما يؤهله للدخول إلى الأحياء والشوارع الضيقة وذلك لتلبية احتياجات الناس بالتنقل حسب مناطق سكناهم.

٩. الأوتوبيس النهري: شركة نقل تابعة لمؤسسة النقل العام، تمتاز بنقل الركاب بنفس أسلوب الباصات الكبيرة (الأوتوبيسات)، إلا أن النقل يكون من

منطقة إلى أخرى عبر نهر النيل، لذا يطلق عليه هذا الاسم.

بالنسبة للأجرة هنا فإنها تبلغ جنيهاً واحداً. تعتبر هذه الوسيلة وسيلة ترفيه أكثر منها وسيلة نقل حيث أن السير في الماء وحده فيه لذة ومتعة ونكهة أخرى.

١٠. الدراجات النارية: وهى ما يطلق عليها السكان اسم (الموتورسيكيل)، وهو وسيلة نقل شخصية وخاصة؛ بمعنى أنها للشخص نفسه ولعائلته بشكل خاص ولكنى رأيت انه في بعض المناطق قد يتم استخدامها كوسيلة نقل عام مقابل اجر، وأكثر ما يكون هذا في

الصورة من خلال الانترنت

مناطق الأرياف والمناطق النائية، حيث يركب الشخص خلف السائق الذى يقوم بتوصيله إلى الجهة التى يرغب بها وذلك مقابل خمسة جنيهات مثلاً.

ما جعلني اكتب عن هذه الوسيلة مع أنها وسيلة عادية منتشرة بمعظم أنحاء العالم وبفلسطين تحديداً ولكن مع ندرتها فى مناطق الضفة الغربية مقارنة بقطاع غزة (لقريبة من الأراضي المصرية) هو ما لاحظته من الأعداد الهائلة التى تخوض الشوارع المصرية كل لحظة، إضافة إلى ذلك طريقة استعمالها على النمط المصري والذى جعلني اشعر بالعجب والدهشة لهذه الطريقة فى الإستعمال؛ فلا أبالغ عندما أقول أنها تستعمل كوسيلة نقل للعائلة كاملة، فكثيراً ما لاحظت ورأيت بأم عيني عائلة بشكل جماعي تركب الدراجة النارية (الأب والأم والأطفال الذين غالباً ما يتراوح عددهم من اثنان إلى أربعة، فترى العائلة كالبنيان المرصوص عل ظهر آلة صغيرة تمخر عباب الشوارع بكل قوة وثقة.

الصورة من خلال الانترنت

١١. القطـــــارات (القَطْـــر): طبعـــاً القطارات المصـــرية لا تختلـــف عـــن قطارات العالم كلـــه كوسيلة نقل للأعداد الضخمة من الركاب

للمسافات البعيدة بين المدن والمحافظات المترامية الأطراف.
تمتاز القطارات بأن هناك درجات ومستويات للحجز والركـــوب؛ فكلما كانت الدرجة أكثر رفاهية ازداد سعر حجزها كمثل الطائرات وبواخر نقل الركاب.
تعتبر القطارات بالمجمل طريقة جيدة ومريحة للتنقل بين المسافات البعيدة كما أسلفنا.

١٢. السيارات الخصوصية والشاحنات: لن أتطرق لهذه الوســـائل لأنها لا تختلف عما هو موجود فى جميع أنحاء العالم.

ثانياً: رخص تكلفة وسائل المواصلات:
كما ذكرت فى البند الأول وتعرضت أحياناً كثيرة إلى رخص أجرة النقل فى وسائل المواصلات فى الأنواع المتباينة والمتعددة من هذه المواصلات إلا أنني أجمل ذلك فأقول: مقارنة بدول العـــالم وفـــى فلسطين تحديداً، أرى أن هناك فرقاً هائلاً بين أجرة النقـــل عبـــر وسائل المواصلات بشكل عام بين فلسطين ومصر؛ حيث انه فـــى مصر تكاد تكون رمزية ورمزية جداً عما هو الحال عندنا والتـــى تعتبر باهظة جداً وذلك بسبب ارتفاع أسعار المحروقات عما هـــو الحال فى مصر.
نحن فى فلسطين وبكل صراحة ممكن أن يفكر الشخص قبل السفر من مكان إلى آخر مرات عدة قبل أن يقدم على هذه مثل الخطـــوة وذلك بسبب التكلفة المرتفعة لأجرة المواصـــلات، وان لـــم يكـــن مضطراً فأنه لا يغامر بذلك أبداً، أما هنا فى مصر فانه بالنسبة لنا

كمغتربين على الأقل فإننا لا نفكر بموضوع الأجرة إن أردنا الانتقال من أي مكان وإلى أي مكان حتى لو كان الانتقال من محافظة إلى أخرى.

تتراوح أجرة السفر من نصف جنيه مصري (الشعبوطة أو رمسيس) إلى ثلاثة جنيهات في بعض الأوتوبيسات والميكروباصات إلى خمسة جنيهات فى التُك تُك والمخصوص وبعض التاكسيات وأحياناً إلى عشرون جنيهاً فى القطارات عند الانتقال بين المحافظات.

ثالثاً: اكتظاظ وسائل المواصلات:

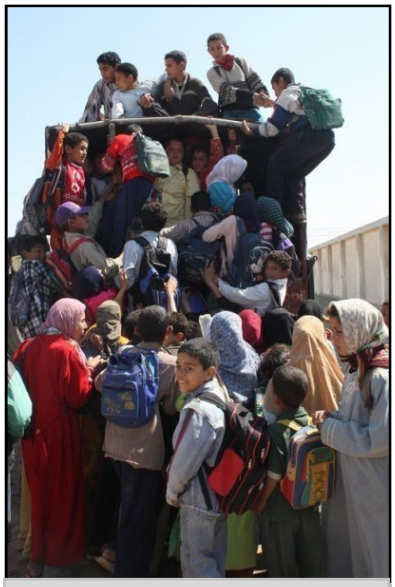

الصورة من خلال الانترنت

لقد ذكرت فى البند الأول أن معظم وسائل المواصلات تمتاز بالاكتظاظ، وذلك لكثرة عدد السكان واختلاف مناطق سكناهم وأعمالهم ومتطلباتهم اليومية، فنرى الاكتظاظ مثلاً شيئاً طبيعياً فى مترو الأنفاق والأتوبيس والشعبوطة، وقد اعتاد السكان على مثل هذا الأمر وأصبح شيئاً طبيعياً من طقوس حياتهم اليومية... كان الله فى عونهم.

رابعاً: استخدام عادة التزمير – منبه الصوت – (الجلاكس):
تشيع عادة سيئة بين أصحاب المركبات العمومية بشكل عام وسائقي الميكروباصات بشكل خاص.

معروف أن جهاز التنبيه فى السيارة (الزامور) (الجلكس) قد تم تصميمه للاستعمال فى حالات الضرورة والطوارئ من اجل لفت انتباه الأشخاص فى الشارع سواء كانوا مشاه أو راكبين أن هنالك خطر ما فعليهم الحذر والانتباه تجاهه، ولكن فى مصر فانه يتم استعماله بصورة متكررة لا تكاد تفهم ما هو القصد من وراء هذا الصوت، اذكر أنني ركبت سيارة مرة وهنا كان السائق يُزمِرُ من اللحظة التى انطلق فيها إلى لحظة وصوله، وما كدنا نصل حتى أحسسنا أن رؤوسنا تكاد أن تتفجر.

إن هذه الحالة ليست حالة شاذة أو فردية، بل هى حالة شائعة ومستشرية؛ فى إحدى المرات جلست بشرفة شقتي أراقب أصوات تزمير السيارات، وأخذت أعد مرات سماع أصوات التزمير، وأقول وبدون مبالغه أنَّ الستين ثانية التى مرت لم تكد تخلو منها أي ثانية بدون تزمير، ويبدو أن الشعب قد اعتاد على هذه الأصوات ولم تعد تزعجه لأني لم اسمع أي شخص ينتقد أي سائق على هذا.

خامساً: السرعة الزائدة وعدم الاكتراث لحياة البشر:
ظاهرة سيئة جداً وتحتاج إلى بحث ومتابعة ومعالجة من المسؤولين وأصحاب صنع القرار لأن للإِنسان قيمة، (والإنسان أغلى ما نملك) كما تطرح كثير من الدول.

ظاهرة سرعة القيادة للسيارات ظاهرة مستشرية ولا تقتصر على المركبات العمومية (النقل) دون المركبات الخاصة (الملاكي)، فالكل فى السرعة سواء.

إحدى زميلاتي دكتورة تعمل فى إحدى مستشفيات القاهرة هاتفتها فى إحدى المرات للتشاور فى أمور البحث وجمع العينات وما إلى ذلك، فاجأتني بحديثها والحزن والحسرة باديان على نبرتها؛ أخبرتني أن أخوها قد تعرض لحادث سير وانه فى المستشفى بين الحياة والموت، ويوماً بعد يوم داومت على الاتصال بها للاطمئنان على صحة أخيها الذى رقد أكثر من شهر فى غرفة العناية المكثفة ومن ثم خرج يعانى العاهات وفقدان الذاكرة وما إلى ذلك من مآسي. وعندما سألتها عما حدث للسائق؟ أجابت انه لم يحصل له شيء ولم يتحمل أي مسؤولية وان أخاها المصاب هو الذى يتحمل كامل المسؤولية، وبرغم كل ما حصل به وأن الله قد كتب له الحياة من جديد إلا أنه هو المدان فى النهاية وقد تكلفت أُسرَتُهُ مصاريف المستشفى كاملة والتى بلغت زهاء سبعون ألف جنيه مصري.

عندما كنت اسكن منطقة شارع فيصل (من أحياء الجيـزة) كنـت أعانى اشد المعاناة عند محاولتي اجتياز الشارع الرئيسي، هذا وقد كانت المصيبة أعظم إن أردت اجتياز شارع الهرم القريـب مـن شارع فيصل، إلا أنني وللأمانة كنت أحمد الله كثيراً عندما أصـل إلى الجانب الثاني من الشارع دون أن أتعرض لأذى حادث سـير مروع. وكم شاهدت من المناظر والمآسي لأشخاص وقعوا ضحايا حوادث سير أمامي عندما كانوا يحاولون اجتياز الشوارع العامـة. هنا أتوجه بالمناشدة إلى رجال الشرطة والمسؤولين لمتابعـة هـذه الظاهرة المرعبة وإيجاد الحلول وسن التشريعات حتـى لا يبقـى السائقين باستهتارهم ويبقى الإنسان أغلى ما نملك.

سادساً: رفع مكبرات الصوت بالأغاني الصاخبة:

أيضاً هذه الظاهرة منتشـرة بكثـرة فـى السـيارات العموميـة (الميكروباصات)؛ فترى السائق منهم قد رَكَّبَ مضخم للصوت فى مؤخرة السيارة، وعندما يقوم بتشغيل الأغاني، فكأن فرقة موسيقية قد اعتلت منصتها وبدأت بالعزف الصادح، ومع أن الناس كثيراً ما يشتكون من هذه الظاهرة ويطلبون من السائقين خفض الصوت إلا أنهم وللأسف كثيراً ما لا يكترثون بهذه النداءات ويستمر صـوت الأغانى المرتفع دون أي مبالاة أو مراعاة لشعور مواطن عادى أو طاعن بالسن أو طفل رضيع أو أي من ينزعج لهـذه الأصـوات القبيحة.

أيها السائقون: نقول لكم استمعوا واستمتعوا بما يعجبكم من الأغانى ولكن لا تجبرونا أن نعيش الجو الـــذى تعيشـــونه ولا نســـتمع أو نستمتع بما تسمعون وعلى مزاجكم وأهوائكم.

سابعاً: قلة صيانة المركبات:

فى هذا المجال حدِّث ولا حرج، وقد رأيت العجب العجاب فى هذا المضمار؛ فقد رأيت والله سيارات لا تصلح للسير على الشـــوارع بتاتاً، فقد رأيت سيارات بمثل هذا الشكل ولا اعلم حقيقة أن كانـــت هذه السيارات مرخصة أم غير ذلك، ولكنى سمعت من النـــاس أن السيارة عندما يتم ترخيصها لا يتم معاينتها وفحصها عند الترخيص من قبل الموظف المسؤول عن ذلك إلا مرة كل سنتين، وان كـــان هذا صحيح فهو كارثة ومصيبة عظمى، وذلك لأن السيارة خـــلال السنتين تتآكل وتتهالك ويصيبها الوبال والويلات إن لم تقـــدم لهـــا الصيانة الدورية المناسبة.

ما يثير استغرابي هنا أن هذه السيارات تتحـــرك علـــى الشـــوارع الرئيسية دون أن تلفت انتباه أي شرطي علـــى الطريـــق وكأنهـــا سيارات بكامل أناقتها.

تنويه: عذراً: أتكلم بهذه الطريقة لأنه عندنا فى فلسطين نعانى اشد المعاناة من هذه الناحية، فبالرغم من انه يتم الفحص الشامل سنوياً عند الترخيص إلا أنه ما تكاد تنهى أمور الترخيص ويتلقفك شرطي إسرائيلي حتى يبدأ بالفحص الشامل على الطريـــق مـــرة أخـــرى

وبصورة تعسفية ليقوم بشطب الرخصة لمعاودة أمور التـــرخيص من البداية، وفى غالب الأحيان لا يكون السبب أصلاً موجود أو بلا مبرر، ناهيك عن دوريات السلامة العامة من الشرطة الفلسطينية أو الشرطة الإسرائيلية معظم أيام السنة مع تكثيف لهـــذه الـــدوريات وعمليات الفحص فى أيام الشتاء، والويل الويل لمن كان فى مركبته أي عطل صَغُر ذلك أو كَبُر!!

ثامناً: تنوع المركبات من القديم إلى الجديد:

هـــذه الظـــاهرة ملاحظـــة فـــى جميـــع أنحـــاء المعمورة تقريباً، ولكن ما لفـــت انتباهى هنـــا أن التنوع والتدرج من القديم إلـــى الجديـــد بمـــدى واسع جداً؛ فترى سيارات بموديلات خمسينات وستينات وسبعينات القرن الماضي حتى تمتد لتصل احدث السيارات بموديلات ٢٠١٢، والغريب بالموضوع أن السيارات القديمة هى قديمة جداً وكثيـــرة جداً، أما السيارات الحديثة فهي حديثة جداً وفخمه جداً وأيضاً كثيرة جداً.

تاسعاً: كتابة أسماء وشعارات على مؤخرة السيارات:

الصورة من خلال الانترنت

هذه الظاهرة منتشرة فى ربوع مصر الحبيب، فقد لفتت انتباهى وأثارت استغرابي؛ فصحيح أنني أرى مثل هذه الشعارات فى فلسطين شيئاً ما وفى الأردن بشكل أكثر إلا أنني هنا استغربت لكثافة وكثرة الكتابات حتى لكأنها أصبحت جزءاً أساسياً من تركيب السيارة أو مكوناتها، وهذا طبعاً ينطبق بشكل خاص على الميكروباصات وسيارات نقل البضائع والشاحنات بشكل ملفت للنظر. فهنا نرى أسماء أشخاص أدركت من خلالها أنها أسماء أبناء وبنات السائقين وأصحاب المركبات ومزينة بألقاب ونعوت تضفى جمالاً آخر على هذه الأسماء؛ فترى هنا مثلاً (الأمير محمد... والأميرة مروة، والبرنس أحمد... والبرنسيسة ياسمين، والكابتن سيد... والريس على و... غيرها من الأسماء والألقاب).

عاشراً: الإشارات السحرية للمواصلات:

لقد انبهرت لتلك الإشارات التى يمارسها السائقون والمواطنون على حدٍ سواء عند الإبلاغ عن المكان الجغرافي المنوي السفر إليه، فيقوم به السائق أثناء سيره على الشارع ليراه المواطنون الذين يستعملون نفس الإشارة ليفهمها السائق ويقف لحملهم إن كانت وجهته بنفس وجهتهم أو يتركهم ولا يقوم بتحميلهم عندما يكون مقصده غير الجهة التى يريدونها. ولتوضيح هذه الإشارات ومعناها كان لابد من تصويرها بالبيت ليتم عرضها ضمن هذا العمل، حيث يصعب الكلام والتوضيح لهذه الإشارات دون تصويرها واستعراضها فوتوغرافياً. وفيما يلي عرض لأهم الإشارات التى تستعمل لتوضيح المنطقة المطلوبة للسفر إليها وهى (الجيزة، الهرم، المؤسسة، ميدان التحرير وميدان رمسيس، مدينة ٦ أكتوبر، الحى السابع، الحى السادس، الرماية... وغيرها من المناطق).

إشارة: الجيزة

إشارة: الرماية

إشارة: التجنيد

إشارة: رمسيس والتحرير

إشارة: الحى السابع

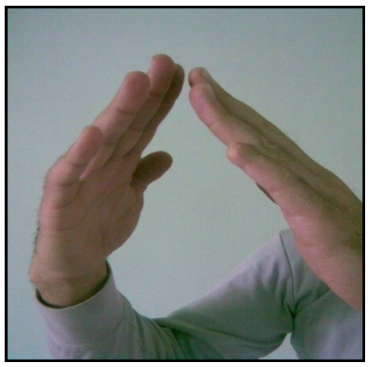

إشارة: شارع الهرم

إشارة: مدينة ٦ أكتوبر أو الحى السادس

إشارة: الدقي

إشارة: الهرم أو الحى الثامن

إشارة: ميدان لبنان

إشارة: مؤسسة

الفصل الرابع

الفقر

هذه الآفة الخطيرة والتى تنهش الجسد المصري وتفتك به أشدَّ الفتك جعلتني أقف وأَتأمل هذه الظاهرة مرات ومرات، فصحيح أن الفقر وقلـــة الإمكانيـــات المادية هى شـــعار العالم بشكل عام ولا يكاد يخلو شعب أو أمـــة دون وجـــود وتغلغل هذا المرض الخبيث بين جنباته، إلا أنني قد لمســـت ذلك وأبصرته بـــأم عيني وكان قلبـــى يكاد يتقطـــع كلمـــا رأيـــت منظـــراً أو عايشت قصة فقـــر،

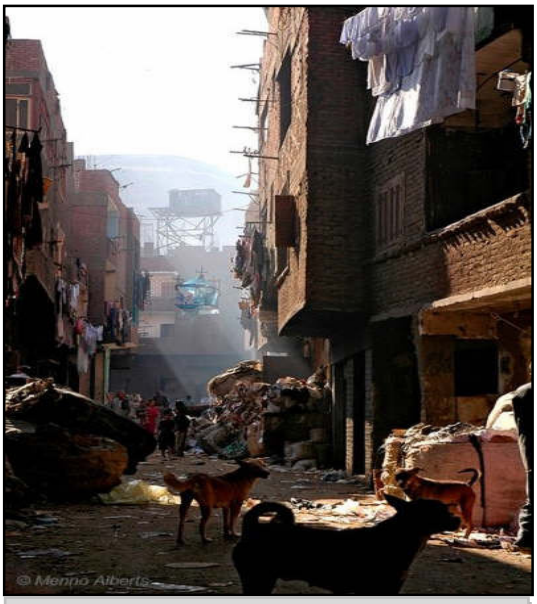

الصورة من خلال الانترنت

وقد حاولت هنا تدوين بعض الملاحظات والمشاهدات المتعلقة بهذا الجانب الإنساني كالتالي:

أولاً: العشوائيات:

هو مصطلح يطلق على مساكن الفقراء الـــذين يقومـــون بتشـــييد المنازل البسيطة المتواضعة – إن صح لنا تسميتها بالمنازل – فى مناطق تفتقر لأبسط أساسيات البناء المنظم مع افتقارها إلى البنيـــة التحتية الأساسية، وبالتالي فهي أشبه بكومة من علـــب الكرتـــون المتراكمة فوق بعضها البعض دون أي ترتيب بغض النظـــر عـــن صفتها القانونية.

عندما كنت اسمع بالعشوائيات أو أشاهد جزءاً منها من على الشاشة الصغيرة سواء من خلال الأفلام أو البرامج الوثائقية، كنت أظنهـــا أشبه بالمخيمات الفلسطينية، ولكن عند معاينتها وجدت أنها أســـوء بكثير مما تعانيه هذه المخيمات بسبب الاكتظاظ السكاني الهائل وقلة توافر الخدمات الأساسية التى تتطلبها حياة البشر يوميـــاً مـــع مـــا يرافق ذلك من أمراضٍ وأوبئة صحية واجتماعية تعايش من يقطنها طوال حياته.

ثانياً: النوم بالشوارع:

هذا المنظر وأقول للأمانة أنني أراه لأول مرة فى حيـــاتي، وقـــد استغربت اشد استغراب لمثل هذه المشاهد التى يتفطر لها القلـــب؛ ولو كانت هذه المناظر مقتصرة على بضع عشرات مـــن الأفـــراد

لأَغمضتُ عينـــي ومـــا اعتبرتهـــا ظاهرة حتى أقــوم بتـــدوينها؛ ولكـــن للأسف فقد كانـــت ظاهره مستشـــرية فى هذا المجتمـــع النبيـــل، والملفـــت للنظر أن هذه الظاهرة لم تكن مقتصرة علـــى فئـــة عمريـــة دون الأخرى، وإنما هى عبارة عن ظاهرة عامة لا تفرق بين امـــرأة أو رجل، صبية أو عجوز، طفل صغير فى مقتبل عمره أو كهل على أعتاب الموت، فالكل هنا سواء يفترشـــون الرصـــيف ويلتحفـــون السماء، وفى أحسن الحالات يفترشون قطعة من الكرتون المقـــوى ويتغطون بحرام أو بطانية.

ثالثاً: المتسولون:

أيضاً هذه الظاهرة غير مقتصرة على أفراد من الشعب المصـــري فحسب، بل إن العالم بأَسره يعانى ويلات هذه المأساة. مـــا يلفـــت النظر هنا هو ازدحام المشهد بأشكال المتسولين وطرق تســـولهم؛ فهنا نرى العجائز من الذكور والإناث يستجدون الناس ويتذللون لهم بالأدعية والمديح مقابل جنيه واحد أو ما زاد عن ذلك أو ما قـــلَّ، وهناك أطفال بعمر الورود يمارسون نفس الطقوس لاجتذاب ما قدر

لهم من النقود، والسائد هنا أن هناك كميات من المتسولين يحملون علباً من محارم الجيب (المناديل) ويستجدون الناس لشرائها مقابل أي مبلغ نقدي، وان قمت واشتريت أحداها ودفعت ما كُتب لك أن تدفعه من الجنيهات تنهال عليك الأدعية والمديح والبركات.

من هذه الزاوية كان لى قصتان طريفتان، أحداهما تمكنت من فهمها والتجاوب معها والثانية لم أفهمها إلا بعد أن استفسرت عنها وبالطبع لم أتجاوب معها. القصة الأولى عندما كنت أنا وأحد الزملاء نسير فى شارع العريش الواصل بين شارعي الهرم وفيصل، وإذا بعجوز ضرير فاقد البصر يقف على جانب الطريق ويقوم بترديد الأناشيد والمدائح النبوية التى قدر له أن يحفظها، وقد كانت فى قمة الروعة والإتقان ولم يكن المقصود منه الغناء ولا الطرب وإنما المقصود منها أنها طريقة مبتكرة للتسول، وقد تنبهنا للمقصود وقمنا بإعطائه ما قدر لنا وما كتبه الله له.

أما القصة الثانية والتى لم افهمها إلا بعد فوات الأوان، أنه عندما كنت فى اسكن فى إحدى شقق القاهرة وإذا بي أستمع لأصوات موسيقى وطبول ودفوف أسفل العمارة، ففتحت النافذة كحب

استطلاع وإذا بأربعة أشخاص يسيرون فى الشارع ويقومون بعزف الموسيقى المصرية الشعبية، وكانت المفاجأة أنه لم يكن هنـــاك أي مظهر لاحتفال أو عُرْس (فَرَح) أو غيره من المناسبات التى تتطلب هذه الاحتفالية، وهنا بدأت هذه الفرقة بالحديث معي ورفع أيـــديهم على أنغام الموسيقى وأنا بدوري قمت برفع يدي تحية لهـــم، وقـــد استمر هذا الوضع لفترة من الزمن ثم انصـــرفوا، وعنـــدما قمـــت بالاستفسار عما حصل معي اخبرني الزملاء أن هذه طريقة أخرى يقوم بها أفراد هذه المجموعة بغية التسول وجمـــع المـــال مقابـــل إرضاء الناس.

رابعاً: الباعة المتجولون والباعة داخل المركبات العمومية:

لا تعد هذه الظاهرة ظاهرة لأنها جزء من ثقافة وعـــادات شـــعوب الأرض أجمع، ولكن الغريب هنا أن رأيت هؤلاء الباعة يصعدون إلى المركبات العمومية وبالأخص الباصات الكبيرة (الأوتوبيسات) ومترو الأنفاق ويلقون بضاعتهم بأيدي وعلى أرجل الناس داخـــل هذه المركبات ابتداءاً بأول المركبة وصولاً إلى آخرها ثم يعودون من نفس الطريق ولكن بشكل عكسي (أي من نهاية المركبـــة إلـــى أولها)، وان تبين أن أحد الأشخاص قد استهوته البضـــاعة يقـــوم بشرائها ودفع ثمنها مباشرة، وإن لم تستهوه هذه العـــروض يقـــوم بردها إلى البائع دونما خجل من المواطن أو تذمر من البائع.

سبحان الله كيف تكون الاختلافات فى الطبائع والعادات بين شعوب هذه المعمورة.

خامساً: أصحاب البسطات فى الشوارع:

هـــذه الظـــاهرة أيضاً منتشرة فى معظـــم أرجـــاء العالم ولا تقتصر علـــــى بقعـــــة جغرافيـــــة دون الأخـــرى. وقـــد أردت تـــــدوينها هنـــــا لمجـــــرد الملاحظة فقط ومن باب التطرق إلى تنوع المواد المعروضة مـــن مواد غذائية إلى الصحف والمجلات والألبســـة والأحذيـــة المـــواد الغذائية و... وغير ذلك.

سادساً: انتشار ملمعي الأحذية:

ينتشر على أرصفة معظم الطرقات وتحديداً فى الساحات والميادين العامة ملمعوا الأحذية أو ما يسمى (البويجي) الذى يضـــع عدتـــه والتى هى عبارة عن صندوق خشبي به كل ما يلزم لتلميع الأحذية، ويأخذ بتلميع حذاء أي شخص يمر بالقرب منه ويطلب منه تلميـــع حذاؤه مقابل اجر غير محدود وذلك حسب الزبون وكرمه.

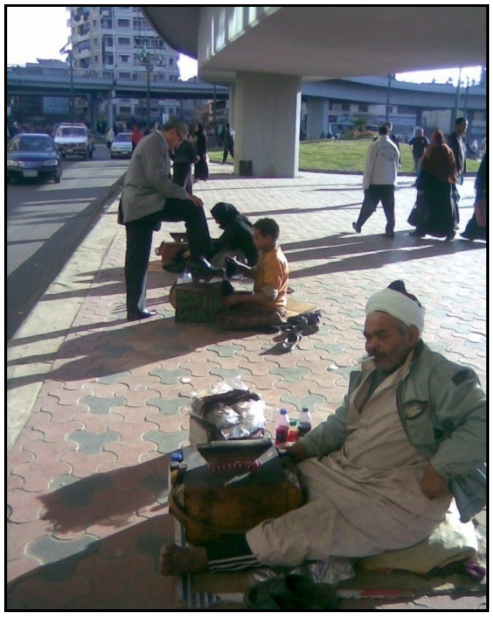

بالنسبة لى كنت أراهم دوماً ولم أفكر يوماً بتلميع حذائي عند أحدهم خوفاً من أن أخدش كرامتهم، وتوالت الأيام وكنت أرفض الفكرة بشكل مطلق حتى أقنعني أحد الزملاء بأن الموضوع عادى ولا يخدش الكرامة وأن هذا مصدر رزق لهم وطريقة لكسب العيش بالنسبة لهذه الفئة من المجتمع، وبصعوبة إقتنعتُ بالموضوع وأصبحت أُلمِّع حذائي إذا مررت بأحدهم وأعطيه ما كُتب له به من النقود.

الطريف بهذا الموضوع أن هذا الشخص الذى يقوم بهذه المهنة لا يستخدم الكلمات للتعامل مع الزبون، فيكفى أن يطرق بيده أو بجزءٍ من صندوقه الخشبى ليصدر صوتاً فحواه أنه يجب على الزبون تبديل إحدى رجليه أو إيذاناً بانتهاء العملية.

سابعاً: الرواتب (المرتبات) المتدنية:

ما تكاد تلتقي بأي مواطن مصري وينشأ بينكما علاقة ومودة وأُلفة ويتم الخوض فى هذا الموضوع حتى يتنهد ويزفر زفرة طويلة فتفصح لك هذه التنهيدة عن واقعه المأساوي الذى يعايشه.

إن الرواتب هنا وحسب الشارع المصري رواتب ضئيلة وضئيلة جداً لا تكاد تكفى لسد أقل الاحتياجات وأبسطها، فعندما يُجمع المواطنون أن معدل الرواتب ما بين مائتين إلى خمسمائة جنيه مصري بالشهر (أي بين ٤٠ – ٩٠ دولار تقريباً) – وهذا طبعاً بالوظائف العادية الشائعة الحكومية منها والخاصة – ولكن قد ترتفع فى بعض الوظائف المرموقة الأخرى لتصل إلى ألفى أو ثلاثة آلاف جنيه مصري تقريباً لأصحاب الشهادات العليا مع سنوات الخدمة الطويلة أو لأشخاص معدودين فى مؤسسات مرموقة معدودة هى الأخرى.

عندما كنت استمع لهذا الحديث أُصاب بالهلع والحيرة والجمود، حيث كنت أستغرب أشَدَ استغراب أن كيف لخمسين أو مئة دولار أن تسد بها احتياجات أسرة من مأكل ومشرب ومسكن ودراسة وعلاج وبقية أمور الحياة التى لا غنى عنها، وحيث أنني أنا كطالب واسكن مع طلبة ونتقاسم المأكل والمشرب والمسكن ويحتاج الواحد منا إلى قرابة ثلاثمائة دولار شهرياً.

ملاحظة: كما تم ذكره سابقاً فى المقدمة أنني كنت قد كتبت هذا الكتاب قبل حصول الثورة وكانت الرواتب حينئذ كما تم ذكره فى هنا، أما هذه الأيام وبعد الثورة فقد وردني أنه تقرر أن يكون أدنى راتب فى الوظائف الحكومية سبعمائة جنيه مصري شهرياً.

ثامناً: العمل بأكثر من وظيفة:

للإجابة على السؤال الذى تم طرحه نهاية البند السابق أن كيف لرب العائلة أن يعتمد على حوالي مائة دولار لينفقها على أسرته فى متطلباتها الأساسية دون الحاجة إلى الرفاهية أو التنزه أو غير ذلك من المتطلبات التى قد تكون من كماليات الأسرة؟

عندما كان يُطرح هذا الموضوع ويدور أطرافه مع المقربين وأقوم بسؤالهم عن هذا الموضوع، فما يكون منهم إلا أن يوضحوا أن عليهم العمل بأكثر من وظيفة ليستطيعوا تأمين احتياجات أُسَرِهم اليومية، فقد أتاحت لى الظروف الالتقاء بعدد من الشباب ومعظمهم من حملة الدرجات العلمية العليا وكان راتب احدهم لا يكاد يكفى لإشباع أبسط الاحتياجات، مما يضطره للعمل بوظيفة ثانية وأحياناً بوظيفة ثالثة، فتراه يخرج من الساعة السادسة صباحاً ولا يعود إلى منزله إلا حوالي منتصف الليل بعد مقارعة أسباب الحياة لمحاولة التغلب على ناب الحياة الجارح.

كان الله فى عونهم وأدامهم بصحة وعافية وأسأل الله العلى العظيم أن يرزقهم من واسع عطاءِه ويُحسِّن أحوالهم.

الفصل الخامس

الترفيه (المقاهي وكرة القدم)

الصورة من خلال الانترنت

إذا تم إعتماد هذين العنصرين (المقاهي وكرة القدم) كإحدى وسائل الترفيه، فإن الشعب المصري يعتبر الحائز والسباق بهما دونما منافس؛ حيث يعتبر الجلوس فى المقاهي لتناول أطراف الحديث أو للعب ورق الشدة (الكوتشينة) والنرد والزهر والدومينو أو متابعة المباريات الرياضية (الماتشات) من على الشاشة الصغيرة فى قاعات المقاهي من أول أولويات المواطن المصري كأسلوب للترفيه والترويح عن النفس، فكثيراً ما نجد هذه المقاهي مكتظة بزبائنها وخصوصاً فى أوقات المساء وطبعاً هذا لا يعنى أنها تكون

فارغة من روادها طوال النهار، لا بالعكس، فهي ممتلئة طوال الوقت ولكن روادها يزدادون فى ساعات المساء وحتى منتصف الليل وتصل ذروتها فى حال كان هناك مبارة محلية أو مبارة بين المنتخب المصري وأحد المنتخبات العالمية.

أنا لا أدعى أن هذه الظاهرة مقتصرة فقط على المجتمع المصري وحسب، ولكن أقول أنها منتشرة بكثافة فى هذا البلد الكبير حتى لتكاد تظهر على أنها من أفضل الاستثمارات فى حدود هذا البلد.

فى إحدى المرات توجهت بالسؤال إلى أحد أصدقائي المصريين عن سبب ارتباط الناس بهذه الأماكن وبهذه الكثافة؟؟ فكانت إجابته أنها هى المتنفس الوحيد للطبقة الفقيرة والمتوسطة بعد عناء عمل يومٍ شاق، أما من الناحية الثانية هى أن البيوت فى كثيراً من الأحيان لا تكون مكاناً مناسباً لإلتقاء الأصدقاء بسبب عدم إتساع مساحتها أو إكتظاظها. وفى جواب اقرب إلى الدعابة قال أن الشخص يريد أن يتهرب لجزء من الوقت من مسؤولياته الأسرية وأصوات ومتطلبات زوجته وأولاده من خلال هذا المنفذ.

بموضوعٍ آخر ولكن بنفس السياق، فإننا نرى إدماناً غير مسبوق على حب كرة القدم؛ فهي عبارة عن أفيون الشعوب بشكل عام وأفيون الشعب المصري بشكل خاص الذى بات يعشق هذه اللعبة عشقاً ليس له مثيل؛ فتراه على علمٍ مسبق بمواعيد المباريات (المتشات) على طول الأسبوع وطوال الشهر بل على طول السنة

سواء كانت مباريات محلية أم عالمية، فتراهم يجلسون بعشرات الأفراد فى كل مقهى وبشكل يومي لمتابعة المباريات المعروضة على شاشات التلفزة المعلقة فى أحد أرجاء تلك المقهى، ولإجتذاب الزبائن وكنوع من المنافسة التجارية بين المقاهي، تلاحظ أن هذه الشاشات تكبر أحياناً أو تصبح شاشات مسطحة عملاقة لإصطياد اكبر عدد من الجمهور والمشجعين والمتابعين لهذه، وبين لحظة وأخرى تسمع أصوات وصراخ يعلو بالتشجيع والتصفيق إن أحرز الفريق المُشَّجْع هدفاً أو حاز على نقطة، أما إن كانت المبارة محلية كأن تكون بين فريقي الأهلي والزمالك مثلاً (الفريقان الأكثر جماهيرية) ترى الأصوات والصيحات تتواتر وتتزايد فى حال التهديف أو مقاربته، أما إن كانت مبارة بين المنتخب المصري وإحدى المنتخبات العالمية فحدِّث هنا ولا حرج؛ فترى الاستعداد ببيع الأعلام والشعارات التى ترمز إلى مصر تغطى أرجاء البلد قبل أيام من لقاء الفريقين، وفى ساعة المباراة تصبح البلد فى حالة أشبه بحظر تجوال؛ الكل يتابع

المباراة فى المقاهي وفى البيوت وفى أماكن العمل إن تسنى لهم ذلك، وإن فاز المنتخب المصري ترى الأغانى والرقصات والأهازيج والاحتفالات تصدح بجميع أرجاء الجمهورية حتى ساعة متأخرة من الليل قد تصل إلى ساعات الفجر الأولى.

من الطريف بالموضوع أنني ركبت يوماً سيارة من القاهرة إلى مدينة ٦ أكتوبر وإذا بأحد الأشخاص يتحدث مع شخص آخر هاتفياً ويقول له أنه اليوم قد إحترق المصنع الذى يعمل فيه ولكنه طلب إجازة من صاحب المصنع للمغادرة لحضور إحدى المباريات المحلية بين فريقي الأهلي والزمالك، أما فيما يخص حريق المصنع فله من الوقت متسعٌ من الوقت بعد ذلك.

الفصل السادس

الطعام والغذاء

للوهلة الأولى يتخيل القارئ الكريم أنه لا داعي لسرد أو مجرد طرح مثل هذا الباب ضمن هذا النص وهذا الكتاب وذلك لأن جميع أنحاء العالم ينتشر فيه ما لذ وطاب من وسائل وأساليب الطعام والغذاء، وذلك لأن الغذاء من أول أولويات واحتياجات الإنسان التى لا غنى عنها وتعتبر بالمقام الأول المطلب الأساسي لإستكمال حياته واستمراريتها، إلا أنني آثرت الحديث عن هذا الموضوع هنا لأني رأيت فيه من غرائب الطباع ما ليس له مثيل عندنا فى فلسطين، لذا سأقوم بتفصيل هذا الباب كالتالي:

أولاً: عربات الفول:

صحيح أن وجبة الفول وجبة عالمية متعارف عليها منذ مئات السنين ولا أَدّعى أن الفلسطينيين لا يجيدون طهي أو تناول الفول، ولكن أقول أن الغريب بالنسبة لى هو كثافة إنتشار عربات الفول فى معظم الحواري والأزقة والشوارع ولا تكاد تخلو قارعة طريق من عربة فول يجتمع حولها بضعة أشخاص من مختلف الطبقات والثقافات لتناول وجبة إفطار أو غداء أو عشاء وقوفاً، ولا اخفي

أننـــي أنـــا شخصـــــياً وأحد زملائي كنا ننتقل من مكان سكنانا إلى منطقـــة أخرى (مـــن شارع فيصل إلى ميـــدان الكت كات) لتناول وجبة فول بعدما أدركنا جيداً أن هـــذه العربـــة أفضل من مثيلاتها، وفى أحيان كثيرة كنا نخرج بعد منتصف الليل لتناول تلك الوجبة السحرية من على إحدى العربات القريبـــة مـــن منطقة سُكنانا.

ثانياً: باعة الذرة المشوية:

وهذه التجارة مزدهرة أيضـــاً فى مصر، فمعظم التجمعـــات والميادين العامة لا تكاد تخلو من بائع أو أكثـــر أو حتـــى بائعتان أو أكثر يحتضن كـــلٌ منهم منقل النار وبـــه الفحـــم وعليه عدة حباتٍ من الـــذرة

ويقومون بِشَيهِ وبيعه للجمهور بسعر جنيه واحد لكل حبة وكل هذا كنوع من التجارة البسيطة التى تَدُرُ الربح الزهيد لقضاء جزء من المتطلبات الأسرية.

ثالثاً: عربات البطاطا المشوية:

أيضاً هذه السلعة منتشرة إنتشار الفول والذرة فى معظم الشوارع والميادين العامة، وقد قرأت فى أحد الإيملات أن تاريخ هذه الحرفة قديم يعود إلى بداية القرن العشرين وما زالت مزدهرة إلى يومنا هذا، فترى البائع يتمترس خلف عربته التى تحوى مكاناً لإشعال النار ومكاناً لشَي البطاطا، وعندما تنضج هذه السلعة تفوح رائحتها الزكية مجتذبةً الأشخاص الذين تصادف مرورهم بالقرب منها ليقوموا بشراء وتناول ما كُتب لهم أن يتناولوه.

رابعاً: عربات البزر (اللب):

من المتعارف عليه أن المحمص (المقلة) هو المكان المخصص لعرض وبيع أصناف المُكسرات ضمن أحواضٍ زجاجية تُبهر الناظرين وتجتذبهم لشراء الأنواع المختلفة منها. إن الغريب فى هذا الموضوع أنه بالإضافة إلى وجود هذه المحال وإنتشارها إلا أن هناك العربات الصغيرة تقوم بنفس العروض لأنواع من المكسرات رخيصة الثمن نسبياً مثل أنواع البزورات المختلفة (اللب) والفستق (الفول السوداني)، وحتى يقوم التاجر بإضفاء الجودة لبضاعته، فإنه يقوم ببيعها ساخنة للزبائن وذلك من خلال وجود مكان لإشعال النار أسفل البضاعة فى مكان مخصص لذلك مع وجود مدخنة لإخراج الدخان، وبهذا فإن هذا المنتج يحافظ على سخونته وجودته.

خامساً: الأكلات الشعبية:

كأي شعب من الشعوب وكأي حضارة من حضارات الأرض يمتاز ويفتخر بأكلاته الشعبية ويعتبرها إحدى رموزه، نرى أنَّ

الشـــعب المصـــري يمتـــاز ويفتخـــر بأكلاتـــه الشـــعبية لتجدها منتشرة فى البيـــوت والمطـــاعم، ومـــن أشـــهر الوجبات الشعبية المصرية: الكشري، المسقعة، الفـــول، الطعميـــــة، الكبـــــاب، الحواوشي، الجبنة المعتقة... وغيرها من التى لم أتمكـــن من التعـــرف عليهـــا لعـــدم معرفتـــي بطريقـــة لفظهـــا باللهجة المصرية.

سادساً: المطاعم الفخمة:

تنتشر المطاعم الفخمة بشكل رهيب فى معظم أنحاء مصر، حيـــث يوجد لنفس المطعم أكثر من فرع فى أكثر من مدينة وتجمع سكاني وأحياناً أكثر من فرع فى نفس الحى وحتى فى نفس الشارع، فترى المطاعم ذات الطراز الغربي مثل (كنتاكى وهارديز وبيتزا هت... وغيرها) والمطاعم ذات الطراز العربي المصري مثل (الشبراوي ومؤمن والتحرير... وغيرها).

تمتاز هذه المطاعم جميعاً بتقديم الخدمات لزبائنها داخل المطعم أو خارجه (البيوت وأماكن العمل). فترى قوافل وقوافل من وسائل نقل

الطعام الجاهز أو مـــا يســـمى (الديلفري) على شكل سيارات أو دراجات ناريـــة تجـــوب أنحـــاء البلاد لإيصـــال خدماتها للزبائن، وبـــالطبع فـــإن الأسعار هنا تكون أكثر ارتفاعاً من أسعار المطاعم الشعبية والتـــى قد تفتقر إلى خدمات التوصيل.

الفصل السابع

العلم والتعليم

يعتبر هذا البلد العزيز بلد العلم والعلماء على مر التاريخ، فبداية من زمن الفراعنة إلى زمن الدولة الإسلامية بكافة مراحلها وتفصيلاتها وصولاً إلى الدولة العصرية المعاصرة بهذا اليوم، حيث تعتبر منبع العلماء ومقصد الأدباء وملجأ المتلهفين إلى العلم والمعرفة. سأقوم هنا برواية ما شاهدته وما لمسته بخصوص هذا الباب على أربع مشاهدات:

أولاً: مدارس اللغات:

نلاحظ هنا أن إنتشاراً غير مسبوق لما يسمى مدارس اللغات في أنحاء الجمهورية، فى البداية لم أكن لأعرف ماذا يقصد بمدارس اللغات،

وعندما سألت عن الموضوع اتضح لى أن هذه المدارس هى بمثابة المدارس الخاصة لدينا فى فلسطين.

صحيح أن المدارس الحكومية منتشرة على طول البقاع وعرضها، إلا أن المدارس الخاصة لا تقل عنها انتشاراً وذلك بسبب الضخامة السكانية والحاجة إلى التعدد والتنوع فى أساليب التدريس بين أفراد الجمهور المصري، فهناك من يرغب المدارس الحكومية وهناك من يفضل المدارس الخاصة.

ثانياً: المعلمون الخصوصيون:

لا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود ظاهرة الدروس الخصوصية بشكلٍ أو بآخر، ومن المعروف أن الدروس الخصوصية يقوم بها مدرسون لتعليم الطلبة مقابل أجرٍ من المال خارج إطار الدراسة المنتظمة فى المدارس، وبالعادة تكون فى البيوت أو فى مراكز خاصة.

صحيح أن هذه الظاهرة ظاهرة عالمية، إلا أن مـــا اســـتدعاني أن أشير لها هو ما لاحظته من استفحالها بين معظم الطلبة لدرجة أن بعض الطلبة الجامعيين يتجهون بشكل كبير لتلقى مثل هذه الدروس وهو ما زاد فى استغرابي وتعجبي من هذا الأمر.

إن الأمر الآخر الذى أثار انتباهى هو كثافة الإعلانات التى تُـــرَوِّج لمعلمي الدروس الخصوصية والتى يتم كتابتها بصورة مُشَوِقَة على الجدران والأسوار ولوحات الإعلانات فى الشوارع، ولأول وهلـــة يظن الناظر أنها إعلانات لمرشح فى إحدى الانتخابات، ولكنه يُذهل عندما يراها دعاية لأحد المدرســـين الخصوصـــيين ناهيـــك عـــن الأوصاف الطريفة التى يتم طرحها فـــى هـــذه الإعلانـــات مثـــل (أسطورة اللغة العربية، وعمـــلاق الفيزيـــاء، وجنـــرال التـــاريخ ووو... الخ).

ثالثاً: الدرجات العلمية العليا:

ما زاد فخري بهذه الأمة، انتشار الدرجات العلمية العليا؛ فترى فى الجامعات أو إعلانات ولافتات الأطباء بالشوارع وبشـــكل كثيـــف غزواً برمز (أ. د) بإشارةٍ إلى أستاذ دكتور (بروفيسور).

فى جامعة القاهرة تحديداً وفى قسم علم الحيوان (القسم الذى ادرس فيه لنيل شهادة الدكتوراه) – كلية العلوم – والتى تشتمل على أقسام أخرى بالإضافة إلى هذا القسم قمت بسؤال رئيس القسم عند بدايـــة تسجيلي عام ٢٠٠٩ عن عدد الهيئة التدريسية فى القســـم، فكانـــت

الإجابة: انه يوجد بهذا القسم (١٢٠ دكتور) منهم (٦٥ أستاذ دكتور). عند الأخذ بعين الاعتبار هذا العدد من هذا

القسم وتطبيقه على بقية الأقسام فى الكلية ومن ثم بعدد أقسام الكليات الأخرى فلك أن تتخيل العدد الضخم من الذين يحملون هذا المؤهل فى جامعة القاهرة، وفى ذات السياق لك أن تتخيل العدد الأضخم عندما تقيس على بقية الجامعات المصرية، فلا أبالغ أن قلت أن هناك عشرات الآلاف ممن يحملون هذه الدرجة العلمية وما دونها، وإن أشار هذا إلى شيء إنما يشير إلى الاهتمام البالغ بالعلم والتعليم.

فى هذا اليوم بالتحديد (٢٠١١/١/٥) نشرت وكالة معاً الإخبارية الفلسطينية مقابلة على موقعها الالكتروني مع وزيرة التربية والتعليم العالي الفلسطينية الأستاذة لميس العلمي وعند سؤالها عن عدم وجود برامج دكتوراه فى جميع الجامعات الفلسطينية؟؟ كان جواب السيدة الوزيرة أن ذلك يعود لإفتقار جامعاتنا الفلسطينية لدرجة

الأستاذية أو الأستاذية المساعدة أو المشاركة، وأذكر هنا فى هـذا المضمار أنه فى الفترة التـى كنـت أنـا فيهـا طالبـاً بمرحلـة البكالوريوس ومن ثم الماجستير فى جامعـة النجـاح الوطنيـة – نابلس– والتى افتخر بها كثيراً، إلا أن قسم الأحياء فى كلية العلوم لم يكن يزيد فيه عدد الهيئة التدريسية من حملة شهادة الدكتوراه عن خمسة، واحدٌ منهم يحمل درجة أستاذ دكتور فقط.

كخلاصة لهذا الموضوع: أنا أرى انه للأسف فى بلادنا فلسـطين يقتصر أقصى بُعد نظر للدارس أو المتعلم بالحصول على درجـة الدكتوراه إن تسنى له ذلك وبذلك يصل إلى أقصى درجات المنـال والرضا والحياة العلمية بكل جوانبها، إلا أنه على النقيض من ذلك فإنه فى جمهورية مصر العربية فإن الحصول على درجة الدكتوراه هى أولى درجات السلم التعليمي وأن الحصول على درجة أسـتاذ دكتور هو الهدف الأسمى والأنبل والذى غالباً لا يكتفي به ويستمر بالبحث والاطلاع إلى مـا شـاء الله ناشـراً عشـرات الأبحـاث والدراسات كما سنرى فى النقطة اللاحقة.

رابعاً: الأبحاث العلمية:

كما اشرنا فى النقطة السابقة فإن الدرجات العلمية العليا وما يلازم ذلك من جهد وكد وتعب فى إجراء الأبحاث العلمية ونشرها عالمياً ومحلياً جزءً من إستراتيجية معظـم الدارسـين والمتعلمـين مـن الجمهور المصري، وهنا لا غرابة أن نرى أو أن نُسـجل تفوقـاً ملحوظاً فى مجال الأبحاث العلمية ونشرها عربياً وعالمياً.

سأتحدث هنا عن تجربتي فى هذا المضمار لإسقاط الضوء علـــى هذه النقطة المشرفة بالمسيرة العلمية لهذا الشعب العمـــلاق؛ أثنـــاء تحضيري لرسالة الدكتوراه فى مجـــال الأورام وتحديـــداً مجـــال سرطان الكبد، وكأجراء أساسي لإستكمال كتابة الرسالة، لا بد من الاطلاع على أكبر عدد ممكن من الأبحـــاث العلميـــة المنشـــورة والمتعلقة بهذا الموضوع ليتسنى لى دراستها واستخلاص ما يهمني منها، وقد استطعت استخلاص أكثر من مائـــة وعشـــرون بحـــث وملخص من المجالات العلمية العالمية، هذا وقد دُهشتُ كثيراً عندما حصلت على عشرةِ أبحاثٍ متعلقة بموضوعي من العلماء المصرين على مستوى العالم وبحث واحد فقط لبناني وآخر سعودي، أما بقية الدول العربية مجتمعة لم أتمكن من الحصول منها على بحث واحد، وقد إزداد إعتزازي وإعجابي بهؤلاء العلماء خصوصاً أن جزء من هذه الأبحاث تعود لأساتذتي الكرام فى جامعة القـــاهرة والمعهـــد القومي للسرطان التابع لجامعة القاهرة وعلـــى رأســـهم الأســـتاذ الدكتور مطاوع الحسيني والأستاذ الدكتور محمود احمـــد عـــامر والأستاذ الدكتور ممدوح الشربيني والدكتور طارق دردير.

حتى لا يقال أنني أبالغ أو أنني متحيز سأقوم برواية زميلـــي الأخ زياد غانم والذى يُحَضِّر رسالة الدكتوراه فى اللغة العربية من كلية الآداب – جامعة القاهرة – والذى يقول أنه قد دُهش وبُهـــر عنـــد رؤيته عمالقة الأدب العربي الذين كان يدرس كتبهم أيام دراســـته لمرحلتي البكالوريوس والماجستير فى جامعة النجاح الوطنية فـــى

فلسطين، وما زاد فى إعجابه بهم إضـــافة إلـــى علمهـــم الغزيـــر وأبحاثهم الوفيرة ما لاحظه منهم من تواضع وخفض جنـــاح لكـــل طالب علم يريد أن ينهل من علمهم شيئاً.

الفصل الثامن

تصرفات ومناظر مؤذية

لا يكاد يخلو أي مجتمع أو بني البشر عموماً من بعض الناس السلبيين بحياتهم وتصرفاتهم، مما ينعكس على البيئة المحيطة بهم، فتظهر للعيان وكأن المجتمع بأكمله يمتاز بهذه السلبية، وطبعاً هذه النظرة غير منطقية وغير صائبة لأن الناس السلبيين سيبقون سلبيين حتى لو كانوا بمجتمع مثالي، وطبعاً الايجابيون ايجابيون حتى لو أجبروا على النزول بمجتمع كامل السلبيات.
من المناظر التى عكست الاستياء لدىَّ خلال فترات مكوثي بهذا البلد الجميل:

أولاً: قلة النظافة وأكوام الزبالة:
منظر مؤسف أن ترى أكوام الزبالة تنتشر بين أحياء المناطق المختلفة فلا تعرف على من تلقى بالمسؤولية؟ أتلقيها على البلديات (جهاز المدينة) وموظفو النظافة فيها؟ أم تلقيها على المواطن بشكل رئيسي؟ أم تلقيها على الأعداد المتزايدة من البشر؟
أنا وبالنسبة لى سألقى بالمسؤولية واللوم على المواطن بشكل مباشر وذلك لما شهدته مراراً وتكراراً من عدم اكتراث برمي النفايات وبواقي متعلقات الناس على الشوارع دون أدنى شعور بالمسؤولية،

وقد كانت الكارثة اكبر عندما لاحظت بصورة مباشرة وبشكل طلبة الجامعات أو ما تسمى

الصورة من خلال الانترنت

بالطبقة المتعلمة والمثقفة تُلقى ببواقي ما تأكله أو تحمله تحت مقعدها أو بجانبها على الرغم من أن سلال النفايات لا تبعد عنها سوى خطوات قليلة لا تتجاوز البضعة أمتار، وهنا أُدرك أن أساس المشكلة يعود لطبيعة الفرد نفسه وذلك لعدم اهتمامه بالموضوع بالشكل المناسب وعدم تحمله مسؤوليته بصورة شخصية وبشكل فردي.

ثانياً: أسلاك الكهرباء المكشوفة:

ظاهرة خطيرة وسيئة للغاية، إلا أنها للأسف ظاهرة منتشرة بشكل مخيف، فأقول جازماً أن معظم الشوارع تحتضن أسلاك الكهرباء المكشوفة نتيجة خلع عامود كهرباء قديم أو عملية إصلاح أو غير

ذلك من عمليات الصيانة، وما زاد فى استغرابي أن أرى هذه الظاهرة منتشرة أيضـــاً ضـــمن أرجـــاء وباحات الجامعات التـــى تيسر لى زيارتها، ولولا لطف المـــولى لصُـــعِقَ الكثير من الناس بســـبب هذا الإهمال والاســـتهتار غير المُبرر.

ثالثاً: المشاكل (الخناقات) بين الناس:

أيضاً هى ظاهرة طبيعية بين كل الأعـــراق والجنســـيات، ولكـــن الغريب والايجابي بهذه الظاهرة هنا أن كثيراً من هـــذه المشـــاكل (الخناقات) تنتهي دون أن يقوم أحدُهم بضـــرب الآخـــر إلا فـــى حالاتٍ نادرة، بل يكتفي الطرفان بالسباب والشتم والتـــى لـــو تـــم التخلص منها لكان ذلك أفضل بكثيـــر. هنـــا أقـــول أن المجتمـــع المصري يسجل نقطة أخرى على المجتمعات التى يغلـــب عليهـــا العنف والضرب فى حالات المشاكل الشخصية والعائليـــة والتـــى للأسف قد تمتد لاستخدام السلاح وإزهاق الأرواح.

الفهرس

الإهداء	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول: الدين والعبادات	٩
أولاً: المساجد	٩
ثانياً: المصليات فى الوزارات والدوائر الحكومية	١٠
ثالثاً: مقامات الصحابة	١٢
رابعاً: سيماهم فى وجوههم	١٤
خامساً: الإطالة فى السجود	١٦
سادساً: القرآن الكريم	١٦
سابعاً: اللباس الساتر للشعر	١٩
ثامناً: الشعارات الإسلامية على بطاقات بائعي الخضار والفاكهة	٢٠
تاسعاً: الشعارات الإسلامية على لافتات تسمية الشوارع	٢١
الفصل الثاني: المجاملات اللفظية وحلاوة اللسان	٢٣
الفصل الثالث: وسائل المواصلات	٢٥
أولاً: تعدد وسائل المواصلات	٢٥
١. مترو الأنفاق	٢٦
٢. الباصات (الأوتوبيس)	٢٧

٣. الباصات الصغيرة (الميكروباص) ٢٩
٤. رمسيس ٣٠
٥. سيارات الأجرة (التاكسي) ٣٠
٦. المخصوص ٣١
٧. الشعبوطة ٣١
٨. التُك تُك ٣٣
٩. الأوتوبيس النهرى ٣٤
١٠. الدراجات النارية (الموتور سيكيل) ٣٥
١١. القطارات (القطر) ٣٦
١٢. السيارات الخصوصية والشاحنات ٣٧
ثانياً: رخص تكلفة وسائل المواصلات ٣٧
ثالثاً: اكتظاظ وسائل المواصلات ٣٨
رابعاً: استخدام عادة التزمير(الجلاكس) ٣٩
خامساً: السرعة الزائدة وعدم الاكتراث لحياة البشر ٤٠
سادساً: رفع مكبرات الصوت بالأغانى الصاخبة ٤١
سابعاً: قلة صيانة المركبات ٤٢
ثامناً: تنوع المركبات من القديم إلى الجديد ٤٣

تاسعاً: كتابة أسماء وشعارات على مؤخرة السيارات ٤٤
عاشراً: الإشارات السحرية للمواصلات ٤٥
الفصل الرابع: الفقر ٥١
أولاً: العشوائيات ٥٢
ثانياً: النوم فى الشوارع ٥٢
ثالثاً: المتسولون ٥٣
رابعاً: الباعة المتجولون والباعة داخل المركبات العمومية ٥٥
خامساً: أصحاب البسطات فى الشوارع ٥٦
سادساً: انتشار ملمعي الأحذية ٥٦
سابعاً: الرواتب (المرتبات) المتدنية ٥٨
ثامناً: العمل بأكثر من وظيفة ٥٩
الفصل الخامس: الترفيه (المقاهي وكرة القدم) ٦١
الفصل السادس: الطعام والغذاء ٦٥
أولاً: عربات الفول ٦٥
ثانياً: باعة الذرة المشوية ٦٦
ثالثاً: عربات البطاطا المشوية ٦٧
رابعاً: عربات البزر (اللب) ٦٨
خامساً: الأكلات الشعبية ٦٨
سادساً: المطاعم الفخمة ٦٩

الفصل السابع: العلم والتعليم ٧١
أولاً: مدارس اللغات ٧١
ثانياً: المعلمون الخصوصيون ٧٢
ثالثاً: الدرجات العلمية العليا ٧٣
رابعاً: الأبحاث العلمية ٧٥
الفصل الثامن: تصرفات ومناظر مؤذية ٧٩
أولاً: قلة النظافة وأكوام الزبالة ٧٩
ثانياً: أسلاك الكهرباء المكشوفة ٨٠
ثالثاً: المشاكل (الخناقات) بين الناس ٨١

السيرة الذاتية

د.سرمد فوزى هليل التايه

- ❖ فلسطيني الجنسية من مواليد العراق عام ١٩٧٣.
- ❖ متزوج وله ثلاثة أطفال.
- ❖ بكالوريوس أحياء – جامعة النجاح الوطنية/ نابلس عام ١٩٩٦.
- ❖ ماجستير علوم حياتيه – جامعة النجاح الوطنية/ نابلس عام ٢٠٠٣.
- ❖ دكتوراه (خلية وأنسجة ووراثة) تخصص علم أورام/ كلية العلوم/ قسم علم الحيوان/ جامعة القاهرة ٢٠١٢.
- ❖ مدرس في مدارس مديرية التربية والتعليم في محافظة نابلس من عام ١٩٩٧ حتى تاريخ عام ٢٠٠٧.
- ❖ موظف إداري في قسم الصحة المدرسية/ تربية جنوب نابلس من تاريخ ٢٠٠٧ وحتى حينه.

<u>الخبرات والنشاطات:</u>

١) عضو فريق تحسين الكتاب المدرسي لمادة الأحياء (الصف الحادي عشر والثاني عشر العلمي) – مركز المناهج – وزارة التربية والتعليم الفلسطينية.

٢) مشارك في ورشات عمل لإثراء كتاب العلوم الحياتية للصف الثاني عشر العلمي.
٣) مدرب لوائي على مقررات المنهاج الفلسطيني – مادة الثقافة العلمية– للصف الثاني عشر الأدبي والصف الحادي عشر الأدبي.
٤) عضو لجنة المبحث لمادة الأحياء والعلوم للعام الدراسي (٢٠٠٥–٢٠٠٦)، (٢٠٠٦–٢٠٠٧).
٥) مدرب في دورات تدريبية على مقررات المنهاج الفلسطيني – مادة الصحة والبيئة – للصف السابع الأساسي.
٦) كاتب مواضيع صحية وعلمية ومقالات سياسية في مجلات صحية وعلمية ومواقع إخبارية الكترونية.

العنوان: بيتا – نابلس – الضفة الغربية – فلسطين
خلوي مصر ٠٠٩٧٢٠١٢٧٨٨٩٦١٣٣
خلوي فلسطين ٠٠ ٩٧٢ ٥٩ ٩٢٣١٠٨٩

بريد الكتروني
tayeh_sarmad@hotmail.com